لا دلو لك

وصفت المرأة السامرية السيد المسيح بأنه "لا دلو له". ومن الواضح أن ذلك الوصف كان محل تعجبها لمعرفتها بقيمة الدلو لكل من يذهب ليستقي فكيف بدونه يرتوي إنسان؟

والدلو يرتبط ارتباطاً وثيقاً بالبئر. وفي الأصل أن تكون البئر مملوءة ماءً وبالتالي تكون وظيفة الدلو جلب الماء من داخل البئر إلى خارجها. أما إذا صارت البئر فارغة فإنها تطلب الإمتلاء من مصدر خارجي بواسطة الدلو. هكذا الحال مع الإنسان الذي خُلق في الأصل ممتلئاً بكل مجد صورة الله لكي يفيض مما داخله على كل الخليقة. إلا أن السقوط شوه صورة الله في الإنسان فتبدل الحال وصارت في داخله أبياراً كثيرة فارغة تطلب أن تمتلأ بواسطة الدِلاء. وما هذه الآبيار إلا نقائص وإحتياجات نفسه وجسده التي تلح عليه في كل حين طالبة الإشباع. والإنسان في حياته دِلاء كثيرة لا يتصور الإستغناء عنها ولا يتصور حياته بدونها إذ يعتبرها الوسائل الضرورية لإشباع إحتياجاته المادية والمعنوية. فكل دلو منها يرتبط بإحتياج ما. فيوجد دلو الدعم النفسي، ودلو الشعور بالأمان، ودلو الحميمية والعاطفة، ودلو الضرورات المعيشية والمادية... إلخ.

ولكون السيد المسيح بلا نقص ولا إحتياج فإنه يصدق عليه جداً القول: *"لا دلو لك"* (يو٤:١١)، أما نحن فأفضل ما نوصف به: *"البئر عميقة"* (يو٤:١١) و*"مشققة لا تضبط ماءً"* (إر٢:١٣). ولكن الله في محبته وتدبيره الشافي يريد أن يستعيدنا إلى صورة مجده. إنه يتعمد أن يجردنا من دِلائنا بأن يدبر في حياتنا أحداثاً لكي *"تنكسر الجرة على العين أو تنقصف البكرة عند البئر"* (جا١٢:٦) ولكي *"ينزع من يهوذا السند والركن. كل سند خبز وكل سند ماء. الجبار ورجل الحرب. القاضي والنبي والعراف والشيخ. رئيس الخمسين والمعتبر والمشير والماهر بين الصناع والحاذق*

بالرقية" (إش٣: ١-٣). إنه في "**عملية نزع السند**" هذه يبدو جارحاً لا عاصباً وساحقاً لا شافياً فهو لا يتركنا قبل أن يجردنا من كل دلو نستند عليه فتقع حبة حنطتنا في الأرض وتموت. وهي إذ تموت تأتي بثمر كثير فنصير موضع تعجب وتساؤل الكثيرين: *"من هذه الطالعة من البرية* ***مستندة*** *على حبيبها"* (نش٨:٥). عندئذ تجيب الملائكة، التي صرنا لها منظراً، بهتاف: هي كل نفس تشبهت بعريسها الذي قيل عنه أنه "لا دلو له" فصار هو لها الكل في الكل.